

# نسيج خيوط العشب

لم تخل التحقيقات التي تجريها وكالة الاستخبارات البريطانية في السويد من توسيع « مركز الاتصالات الخاص » في شارع رايدر .

فقبل المصير السيء الذي حل بالبعثتين المرسلتين إلى ليتوانيا ، وافق كار على أن الترتيبات في السويد أصبحت غير مرضية ، وأن التدريب في المستقبل يجب أن يتركز في لندن . حيث يمكن للمخابرات البريطانية أن تمارس سيطرة كاملة . ولكي تنسجم عملية التوسع .. يجب أن تقسم « إدارة البلطيق » إلى ثلاثة أقسام ويختص كل قسم بوحدة من الدول الثلاث .

وطلب ماكين أن يتولى لاتفيا أو استوني تجنيد عملاء من أبناء جنسه .. على غرار زايمنتس ويشرف على تدريبهم أيضا ، وصادق كار على تعيينات ماكين ، وعكس ذلك الأهواء السياسية لضباط المخابرات البريطانية . وأولئك على الجانب الآخر من المبنى ، في وزارة الخارجية البريطانية ومنذ سنة ١٩٤٧ ، وفي ظل عملية ويست ورد هو - جُندت جماعات من الرجال والنساء من أبناء البلطيق في معسكرات الاعتقال للعمل في المناجم البريطانية وكذلك في مصانع النسيج .. حيث تأثر الإنتاج نتيجة النقص في العمالة . وكان من بين الجماعات التي وصلت إلى بريطانيا سنة ١٩٤٧ مجموعة من اللاتفين .. وأثناء الفحص الطبي الروتيني لاحظ الطبيب في ميناء « هاروتش » وجود « وشم » متطابق في الشكل تحت ذراع كل فرد منهم .

ولم يكن الطبيب في شك مما تعنيه تلك العلامات السوداء . إنها علامات استخدمت لتنبه الطبيب ، بفصيلة دم المريض وتحذر أن تلك الفصيلة من أصل آري نمقى . تستخدم في عمليات نقل الدم ، وبعد الحرب أصبح الوشم علامة لاتمحي ، وأن حاملها عضو في منظمة إجرامية .. وممنوع بوضوح من دخول بريطانيا .

وخلال الساعات الأربع والعشرين من اعتقالهم .. احتج سفير لاتفيا في بريطانيا

« شارلس زاوينس » إلى توماس بريميلو .. وذكر الدبلوماسى أن مواطنيه قد وشمووا بالقوة عند اعتقالهم على يد الألمان . وخدموا كعمال لدى الألمان . وقد قبل بريميلو وموظفو الخارجية البريطانية هذا التفسير الكاذب ، ووافقوا على أن الطبيب البريطانى يجب أن يطلب منه أن يركز اهتمامه على المرض ولا يهتم بفصائل الدم ؟ وكان السماح لأولئك الضباط السابقين وثيق الصلة بسياسة وزارة الخارجية . ونزل الثمانية آلاف أوكرانى تحت رقابة بريطانيا فى ريميني .

وأصبحوا أعضاء فى قسم جاليزيان الشهرير . الذين سُمح لهم بدخول بريطانيا سنة ١٩٤٧ . وفى ظل التصنيف التقليدى كأسرى حرب ..

وأكدت الحكومة لأعضاء البرلمان الغاضب أن كل الذين وصلوا خضعوا لفحص دقيق واستبعد منهم مجرمو الحرب .

وعلى أى حال .. سمح موظفو الحكومة بعكس ذلك تماماً . وحدث التغيير فى الموقف على يد أ- و- هـ- ويلكنسون ، خير شئون اللاجئين فى وزارة الخارجية . وفى غضون أربعة أيام فى شهر يناير سنة ١٩٤٧ قال ويلكسون : « إنه لامفر من اعتبار أولئك الأوكرانيين كمنشقين سياسيين . ويجب أن يلقوا كل ما يستحقون ويتحولون إلى لاجئين سياسيين أبرياء » .

وحصل بيفن على موافقة اتلى شخصياً . وأن ينقل الأوكرانيين إلى بريطانيا ، رغم كل الاتهامات التى يوجهها زملاؤه بالبرلمان « وأنهم متعطشون للدماء » ، وكان وزير الخارجية متأثراً بالمشاعر القوية التى عبر عنها موظفوه فى الخارجية فى أن الأوكرانيين يجب ألا يستسلموا للروس ، وإنما سيكونون ذوى فائدة للمخابرات البريطانية شأنهم فى ذلك شأن مواطنى البلطيق .

وبعد مرور عامين من ذلك ، وفى عام ١٩٤٩ أنجز هذا التوقع ، وكان من بين الضباط السابقين المدعويين إلى بريطانيا سنة ١٩٤٧ ، الكولونيل الفونس ريبان وهو يبلغ ٤٥ عاماً وقد أنهى الحرب الثانية كقائد للفرقة العشرين فى استونيا ..

وفى إبريل سنة ١٩٤٥ كانت تلك الفرقة تحارب الروس فى تشيكوسلفاكيا وهرب ريبان نحو الغرب قاصداً « المنطقة البريطانية » ومعه ألف رجل .. حتى يتجنب الموت المحقق على يد الشيوعيين .

وبعد عامين فيما بعد وصل إلى بريطانيا للعمل فى طاحونة « براد فورد » وفى سنة

١٩٤٩ ، فوجيء أصدقاء ريبان لسماع أنباء عن الكولونيل السابق وقد أعفى من عمله .  
وتحرك إلى لندن ، وبدا لهم ذلك وضعاً مزدهراً يدعو للحسد .

وبعد عامين .. جنده ماكين ليصبح ضابطاً في المخابرات البريطانية مسئولاً عن  
إرسال العملاء إلى استونيا .

وكان لريبان شرطان لقبول التعيين ..

الأول .. أن يعين الجنرال جوناس سودالا ، المفتش العام السابق بالجيش  
الإستوني . مساعداً له .. وأن يعين ضمن فريقه ، الكابتن فياتو ، وكما شرح السبب .. أن  
بارتل يعرف المواقع لكل الأعضاء السابقين من فرقته والذين يلائمون العمل كعملاء  
وهو وسيط ضرورى بينهم . ووافق ماكين .

وانتهت بذلك حاجة ماكين إلى رجل من لاتفيا . أيضاً بمساعدة من زاريتابس ،  
ويفسر السفير اهتمام الحكومة البريطانية كدليل على نيتها لتحرير بلاده وهو يسمى ..  
وولف ساليرجاس الضابط السابق بالقوات الجوية اللاتفية .. وهو الآن بمعسكرات  
الاعتقال في بلجيكا .. كمرشح مثالى . فلقد كان ساليرجاس ذا تدريب عسكري ،  
وحماسة قومية ، وعداء أعمى للشيوعية ، وهى الصفات المطلوبة للمهمة . وأوصى  
ساليرجاس باثنين من الضباط السابقين بالقوات الجوية .. والمتلهفين لمواجهة  
الشيوعيين ورتب ماكين نقل الثلاثة من بلجيكا إلى بريطانيا .

وسكن زايمنتس ، ريبان ، ساليرجاس في لندن وعملوا مع ماكين في شارع رايدر .  
وتحدد للعمليات في البلطيق اسماً حركياً « الأحرار » واتخذت العمليات وضعاً  
حرفياً وثابتاً .

ومن أجل الحفاظ على الأمن ، طلب كار الا يقابله أى شخص من الثلاثة أو حتى  
يعرفوا مكان وجوده .

ورغم أن ماكين حافظ وبصدق على توزيع المسئوليات ، إلا أن سكرتيره نيجى  
كوكيرتون .. ومساعدته نورا راشوود لاحظا العلاقات غير المنسجمة بين ماكين السهل  
وكار الصارم وقد عكست نفسها في أوقات العمل ..

وكانت مشكلات تلك العلاقات واضحة للثلاثة رجال من أبناء البلطيق . ولكن  
تجاهلوا بالكامل سياسات المخابرات البريطانية ذات السمعة النافذه ، وانشغلوا في  
البحث عن عملاء لإرسالهم إلى الخارج . وكان ضابطا المخابرات البريطانية في نفس

الوقت يخططان لطريق تسلل جديد ..

وكان النجاح الظاهر لسيفكس وبيرجمانز وبقائهم أحراراً أقنع كار وماكبن أن ينزل العملاء في المستقبل في لاتفيا بدلاً من ليتوانيا .

وكان أول العملاء الذين وقع عليهم الاختيار لعملية ( الأحرار ١ ) هم : فاتبولدن بيركس ، واندرية جالدنز الذين وصلا مع ساليرجاس .

وكان بيركس يبلغ من العمر ٣١ عاماً والابن الأكبر لدبلوماسى لاتفى . وخدم مع ساليرجاس في القوات الجوية قبل تجنيده لجهاز المخابرات في ريجا ، وتولى مسئولية الاستخبارات السياسية . وفي عام ١٩٤٤ هرب من لاتفيا مع وحدة مخابرات واعتقل في بلجيكا مع ساليرجاس ، وكان اسمه الحركى في المخابرات البريطانية « كارنجا » .

اما أندرية جالدنز يبلغ من العمر ٣٢ عاماً وابن لأسرة فلاحية وقضى الحرب كعضو نشاط في قوات الكوماندو وكان اسمه الحركى في المخابرات البريطانية « ميونيز » .

وأعد برنامج تدريب العملاء المنفيين ، وكان الفارق العملى هو أن مدرب العملاء سيكون في لندن لتجنب جذب أى اهتمام لامبر له . وكانت المدرسة ، في منزل من الطراز الفيكتورى مكوناً من ٤ طوابق في ١١١ شارع « أولد تشارش » واستؤجر هذا المنزل من ضابط إنجليزي مقيم بالخارج . وتولى الزوجان .. إيدي ومافيس فلاورز إعداد الطعام وتقديم الخدمات المنزلية ، وكان أول من وصل هو بيركس وجاليدنز في شهر مايو .. وأعطيا خمسة جنيهاً كمصروفات جيب أسبوعياً .

وصدرت لهما بطاقات شخصية جديدة بأسماء كاذبة . وفي قاعدة جورج كولر تعلمنا استخدام شفرة موريس والإرسال باللاسلكى . وتعلم الرجلان اللاتفيان كيفية إرسال واستقبال الرسائل . وكيف يشفران ويحلان الشفرة في آن واحد .. وكيف تنتقل الرسائل في تواريخ محددة بدقة وطبقاً لجدول شفرى .. والحفاظ على اللاسلكى ..

**وفي الطابق الثانى ..** كان جون كروفتون باسم مستعار هو « جون الصغير » المشرف على تعليم العملاء « حرفة الذكاء » وتعلم المتدربون .. وسائل الرصد وتجنب الرصد والمراقبة .. وتدبير الاجتماعات دون مراقبة . والتحقق من أن المنزل آمن وكيف تجهز الكيماويات المستخدمة في الكتابة السرية . وأعطيت عناية خاصة بالأمن ، وكيف

لا يجب أن تكتشف هواياتهم ولا خلفياتهم حتى بالنسبة لجماعات الانصار . الذين يلتقون بهم .. كيف يتلاءمون مع المواقف المحرجة والحساسة ، وماذا يقولون في حالة الوقوع في الأسر .

وأين يصيغون الكلمة الشفرية الحاسمة في الرسائل بشفرة موريس والتي تكشف أن المرسل واقع تحت سيطرة العدو .

وأثناء التدريب أصبح « ضباط الحالة » وعملاؤهم أخوة في السلاح يشتركان على قدم المساواة في زهوة النصر وفي المعاناة .

وذكر المتدربون أن جهاز الـ « كى - جى - بى » كفاء ومخيف . « ويقطعون الأنوف .. واستمع جالندز وهو يغمغم ، يجب أن يزود العملاء بحبوب السيانيد لاستخدامها عند الضرورة » . وحصل المتدربون على دروس عملية في الميدان ، واستخدام الأسلحة الصغيرة والبنادق .. بينما الاستعداد للحياة كعملاء في الريف الروسى حدث خارج العاصمة .

وتولى الضباط في قلعة « مونكتون » في الساحل الجنوبي .. تدريب الرجلين اللاتفيين القتال بدون سلاح ، والحياة في البرية ، والسباحة ليلاً في ميناء «بورتسموث» والاقتراب الصامت من الشاطئ انتظاراً للقوارب البخارية .

وتلا تلك التدريبات رحلات إلى دارتمور ، سنودنيا ومرتفعات سكتلاندا لممارسة مهارتهم الجديدة .. وتحت إشراف كروفتون ، وتوجه الرجلان إلى المناطق البرية الموحشة البريطانية وإلى قرى « الضواحي » للبقاء بعيداً عن رؤية المدربين .. ويتركون الرسائل في أماكن متفق عليها ويبعثون بالرسائل الشفرية .

وفي أثناء عودتهم إلى لندن في نهاية سبتمبر ، تأكد ماكن أن كليهما جاهز للمهمة . وشرح كرفتون ، وساليرجاس يترجم أن المخابرات البريطانية تريد معلومات عن مواقع الجيش الأحمر . وعن الطرق وعن الموانئ ، وظروف الحياة . والأهم من ذلك كله الحصول على أدلة تطور روسيا في الطاقة الذرية والصواريخ . والتأكد من اختبارات التفجير السوفيتي للقنبلة الذرية في سبتمبر والتي جاءت من بعدها تقارير تفيد أن السوفيت أجروا اختبارات على الصواريخ في البلطيق ( وثبت أن ذلك أمر كاذب فيما بعد ) .

وكان كار .. ان تلك المهمة الاولى .. بمثابة اختبار يكشف قوة حركة المقاومة ،  
وتأكيداً للثقة .. طلب كار من ماكبن أن يعيد التأكد من العميلين حول أهمية إبداء الحذر  
في اتصالاتهم ، يجب الا يضعوا الثقة في أى شخص حتى يتأكدوا معاً أن الانصار غير  
مُخترقين من الـ « كى - جى - بى » وعليهم أن يعتبروا نفسيهما ضباط لاسلكى وليسا  
مقاتلين من أجل الحرية .

وكان رأى ساليرجاس في عرض المهمة والذي أعلنه للعميلين أنها مختلفة تماماً .  
فأثناء أمسيات كثيرة قضى وقته يلعب « القمار » ويشرب « السكوتش » مع زملائه في  
شارع أولد تشارش .

وتحدث ساليرجاس عن فرصة تحرير الأمة من الشيوعية بتوجيه ضربة قاضية  
إلى أعدائهم وإسقاط حكم ستالين ، وقال ساليرجاس في أكثر من مناسبة : « إن  
الشيوعيين وحشيون ويجب أن نعاملهم بالمثل » .

وعشية الرحيل .. إلى هامبورج .. رتب ساليرجاس لقاءً عاطفياً مع السفير  
« زارنيس » ومنح فخامته البركة للرجلين من طلائع مستقبل أمتنا .. وحثهم على  
الاعتقاد بأن بريطانيا وأمريكا ستحارب قريباً روسيا وستحرر بلادهم .

وإذا أنكروا بعض ضباط المخابرات البريطانية أى معرفة ، فيما بعد بتلك النصائح ..  
فإن ماكبن بلاشك ، وربما كار كانا على عهدهم بتصريحات ساليرجاس غير الرسمية  
إلى العميلين وشاركوهما نفس المشاعر .

ونادراً ما تتجاوز سياسة الواقع ، تلك الفانتازيا .. وأظهر ماكبن « القوة المحركة »  
ثقة عالية بنجاح العملية ، وفي الأيام السابقة على رحيل العملاء .. أعادوا فحص  
معداتهم . وتقرر .. أن يحمل كل فرد منهم حقيبة بنية اللون .. واحدة من الحقائب  
تحتوى على جهاز اللاسلكى ، والحقائب الباقية بها بندقيتين نصف آلية ومسدسين  
ماركة « والتر » وذخائر .

وفي حقائب بلاستيكية ضد الماء ، ٢٠٠٠ روبل وجوازات سفر مزورة وفي أجزاء  
محكمة من الأحزمة ، يوجد عملات ذهبية ومجوهرات . واصطحب « جون الصغير »  
الرجلين ، عبر شاحنة توجهوا ومعداتهم إلى فرفورده للطيران إلى بوكبورج في ألمانيا  
الغربية .

أما المسافر الثالث ، وهو ليتوانى .. لحق بالرحلة في فوفورد إلى روسيا .

والتقى العملاء الثلاثة ، ومستولهم البريطانى فى بوكبورج مع ضابط اتصال  
المخابرات البريطانى الشاب « أنتونى كافيندش » وفى الأيام السابقة على وصولهم ،  
انتقل كافيندش إلى فيلا واسعة فى هامبورج ، فى ضاحية على الطراز القديم .

وفور ، أن فحص فريق المخابرات البريطانية المسئول المنزل ، وجهازوا العقار  
للضيافة . حتى تحولت « السندرة » إلى مركز للاتصالات على يد خبراء المخابرات  
البريطانية .. وكانت مهمة كافيندش رعاية العملاء الثلاثة حتى يصل الخبر من كلاوس  
بأن ظروف الإبحار ملائمة . وكان تلقى تلك الأنباء من مسئولية ضابط الاتصال  
البحرى « أنتونى كورتى » واحتاج العملاء الثلاثة إلى الترفيه ودون المخاطرة بالأمن  
ودون السماح لهم بفرصة إطالة الفكر فى خطورة مهمتهم .

وكان الحل الذى قدمه كافيندش . هو التدريبات الرياضية ويعقبها ممارسة بعض  
الالعاب .

وفى الأسمية الأخيرة ! وهو ما أصبح تقليداً .. دعى كافيندش العملاء الثلاثة وجون  
الصغير إلى عرض جنسى ، فى منطقة ريهام ذات الأضواء الحمراء .

وبعد شراب مفرط للبراندى .. غادر كافيندش . ووافق على أن يعود الرجال الباقون  
إلى الفيلا ، كل « بطريقته » .. وفى الساعات الأولى من الصباح ، نهض كافيندش على  
أصوات طرق على الباب وكان بيركس جالدنز ، قد عاد فقط .. أما جون الصغير  
والليتوانى فقد تورط فى مشاجرات فى البار وألقى القبض عليهما . وقضى كافيندش  
بقية الليل مؤمن إطلاق سراحهم وعمل فى اليوم التالى على إقناع نفسه أن المهمة لم  
تنكشف .. رغم حماقتهم فى ظل الإفراط فى الشراب وانتظرت المجموعة فى مناخ قاسى  
حتى أكد كورتى أن الزورق ( س ٢٠٨ ) جاهز للرحيل .

وفى الرابعة صباحاً ، من يوم ٢١ أكتوبر ، صعد بيركس ، جالدنز على ظهر  
مركب « حماية المصايد » فى كيل وتوجه إلى أسفل السطح .. وكان كلاوس فقط هو الذى  
يعرف أين ينزل العميلان فى لاتفيا . وفور استلام رسالة قصيرة من هامبورج تأمر  
بالمسير ، أبحر قاصداً شاطئاً منعزلاً فى غرب فينتسليز .. وعندما هبط بيركس وجالدنيز  
على الشاطئ لم تكن الـ « كى - جى - بى » تعرف شيئاً عن وصولهم ..

وبناء على توجيهات ساليرجاس .. دفن العميلان الحقيبتين فى الغابة ، بعيداً عن  
الشاطئ ، وقصدوا طريقهم ليلاً إلى منزل الأب فاليدس أمولس . ذلك الراعى الذى

يعده تبيطرس من أكثر الناس مدعاة للثقة من بين من يتصل بهم .  
وكان ساليرجاس وماكين .. مقتنعين بجدارة الأب فاليدس بالثقة ، ولكن ثقتهم لم  
تكن في محلها ..

حيث وقع القس في الشرك الذى أعده له سيفكس دون أن يدرى منذ عام مضى ..  
وسقط في عش الـ « كى - جى - بى » ..

وعندما بادره بيركس بكلمة السر « هل يمكن أن أشتري شيئاً من البيرة هنا؟ »  
أشار القس على الفور للعميلين بناحية الباب . وقال بيركس « نريد أن نتصل  
بالأنصار » وكان أمولس يعرف عن اتصال أعده سيفكس مع أوجستس بيرجمانس في  
ريجا .

وفي اليوم التالى . وبعد نصيحة العميلين عن أفضل الطرق لسلوكها . قرر أمولس  
أن ينبه سيفكس لوصولهم . وهكذا انفك أمانهم قبل وصولهم إلى ريجا .. ذلك الأمان  
الذى تدربوا عليه جيداً في لندن .

وفوجئ أوجستس بيرجمانس بطرقات غير المتوقعة على الباب في شقة بالطابق  
الخامس في ٥ نوفمبر سنة ١٩٤٩ .

وكانت دهشته .. أكبر ، عندما شرح له الزائران أنهما قادمان توا من السويد .  
وأنهما أسقطا من مركب سريع منذ خمسة أيام مضت وأنهما جاءا للاتصال بالأنصار  
في الغابات ويبدآن في إنشاء شبكة مخابرات جديدة .

وقدم بيرجمانس لضيوفه بعضاً من الفودكا ودعاهما للبقاء في شقته حتى يؤمن  
لهما الإقامة بمنزل آمن .

وفي اليوم التالى ، وفي أثناء تقديم الطعام الفاخر ، غادر بيرجمانس الشقة واتصل  
مع لوكاسيفكس وقال له : « إنهما يعيشان في راحة ويشعران بالأمان في المنزل ويمكن  
أن يظلا لبعض الوقت . ولكن لا يستطيع شخصياً أن يحافظ على الأمان لوقت طويل ..

ولاحظ العاملون في الإدارة الثانية للـ « كى - جى - بى » أن القائد تتلألا عيناه في  
ذلك اليوم على نحو غير عادى .. وفي الاجتماع الذى ترأسه الجنرال فيفرس في شارع  
لينين . تقرر أن تجهز منزل آمن ليقسم فيه العميلان اللاتفيان ويمكن مراقبتهم  
بسهولة .

وكان ذلك شاغلاً لعدة أيام قبل أن يعود لوكاسيفكس ليشكو إليه أن العميلين غير مرتاحين .

وقال .. مسئول الـ « كى - جى - بى » إلى فيفرس : إن مشكلتنا ماذا سنفعل مع العميل الخاضعين للمخابرات البريطانية والمتلهفين لبدء العمل ..

وطلب لوكاسيفكس التجهيز لعملية خادعة ، ولكن ذلك يتطلب وقتاً ، وقد طلب بيرجمانس ، ومن بعده سيفكس ، الذى تعرف على العميل مؤخراً .. من لوكاسيفكس أن يفعلوا شيئاً مافوراً مع هذين العميلين .

وشرح بيركس .. أن هذين الرجلين .. هما أول موجة من العملاء على وشك الوصول من بريطانيا وحتى من أمريكا .. ويصر كليهما على أن يذهبا للقاء بعض قادة الأنصار . وواجه فيفرس مشكلة وتحدياً .. وكان عليه استرجاع تعاليم درجينتسكى . ويعد لعملية مزدوجة ومتقنة وتتطلب تنظيماً محكماً وتزامناً فى التوقيت محكم من قبل الأنصار .

وإذا وقع بيركس والمخابرات البريطانية فى الفخ بوضوح ، فإن الـ « كى - جى - بى » .. عليها أن تشكل مجموعة من الأنصار .. تكون أنشطتهم وشخصياتهم مقنعة بالكامل لبيركس وجالدنز ويعتمد النجاح على اختيار العملاء القادرين على الحياة جسمانياً فى الغابات الموحشة ويتحملون الخداع .

وتتطلب العملية تمويلاً ضخماً ولكن فرصة النفاذ إلى قلب المخابرات البريطانية يجب ألا تمر .

وبعد مشاورات تفصيلية مع كرجلوف فى مسكو .. والذى قيل فيما بعد أنه عرض تقريراً بالموضوع على ستالين ، وافق على العملية « الخداعية » التى أخذت اسماً حركياً وهو عملية « لارسن س » وأشرف على تلك العملية لوكاسيفكس والميجور البرت بوندوليس .

وكان بوندوليس قوى البنية ، شيوعياً ثورياً التحق بالـ « كى - جى - بى » أثناء الحرب ، بالمقارنة مع لوكاسيفكس الذى كان ضابط أمن عملي ، وأيضا محباً للنساء وللحياة الطيبة ولم يكن كاسيفكس مخططاً استراتيجياً .

وقرر فيفرس أن يتولى كاسيفكس توجيه العملية من الإدارة بينما يصبح بوندوليس قائداً لمجموعة الأنصار « الوهمية » وتعيش فى غابات كورزيم ، وتحت اسم

حركى « ماكسس » وبسرعة ملحوظة ، اختار كاسيفكس وبوندوليس ستة من ضباط الـ « كى - جى - بى » ذوى الخبرة فى حرب الأنصار فى الغابات ، ليصبحوا أعضاء فى مجموعة « ماكسس » .

وخلال شهور الشتاء المتبقية ، اخترع الضابطان المشرفان على العملية مع كل فرد من « الأنصار » قصة مقنعة عن حياة كلٍ . خاصة عن نشاطات كل فرد بعد الحرب . وتجنبوا أدنى إشارة طفيفة تنم عن التناقض .

وفى بداية فبراير .. وبينما بيركس وجالدنز يتلقون تأكيدات مستمرة أن الصعوبات فى إقامة اتصال مع الأنصار على وشك التغلب عليها تقريباً .

وتوجه كل فرد .. من الأنصار .. فى ظل حراسة إلى غرفة لإحدى اللجان فى قيادة الـ « كى - جى - بى » . حتى يختبرهم بقوة فيفرس ، لوكاسيفكس وبوندوليس وسافر « كرجلوف » خصيصاً من موسكو حتى تيراس الجلسات وفور أن ذابت الثلوج الكثيفة .. توجه المهندسون إلى توكوم فى غابات كورزيم .. وكان الموقع الذى وقع عليه الاختيار .. هو خط المواجهة الأخير بين فيرماتش والجيش الأحمر . وحفروا على الطبيعة خنادق عميقة وتحيط بها المستنقعات ويمكن لمجموعة .. ماكسس .. أن تزعم وعلى نحو يدعو للإقناع أنهم قضوا السنوات الأخيرة .. مختبئين عن الشيوعيين .

وفى نفس الوقت ، تولى سيفكس إقناع بيركس ، المقيم فى منزل لرجل أرمل فى ريجا ، أنه اتصل بقائد مجموعة ماكسس وأنه لمن الخطر تماماً ، على قائد الأنصار أن يغادر الغابة حتى تذوب الثلوج لأن قوات الأمن ستلاحظ وبسرعة آثار الأقدام . وتأكيداً للمخاطر .. فإن المفتشين فى كل مكان وكان ذلك أسلوب سيفكس المفضل للإخضاع والسيطرة على عميلى المخابرات البريطانية القلقين باللعب على مخاوف وأعصاب العملاء وسيصبح ذلك أداة الـ « كى - جى - بى » فى التحكم فى أولئك القادمين لتحرير بلادهم .

ووافق بيركس ، مرغماً ، على أن ينتظر حتى الربيع ، وأرضى نفسه بطلب المعلومات الصناعية والعسكرية ، والتى يمكن أن يمررها إلى لندن إما بالرسائل المعتادة والتى ترسل باللاسلكى وفى خطابات ترسل إلى بلجيكا وفرنسا والسويد .

ومن المثير لأى شخص ، أن يضطر بيركس إلى كتابة اسمه المرسل على المظروف ، طبقاً للقوانين السوفيتية ، واستخدم أسماء من التى تظهر فى إعلانات الطلاق فى الصحف اليومية . وأرسل إلى لندن مستخدماً اسماً حركياً هو ... ولف ... وقال : إنه

يواجه بعض المشاكل . إلا أنه يثق فيمن اتصل بهم ، وكانت شكواه الأساسية تنصب على أوراق هويته ، وأنها بدائية جداً ..

وفي الثاني من مايو .. انتهى انتظار بيركس .. حيث وافق قائد مجموعة «ماكسس» على موعد لقاء في حديقة عامة . وقد أخبره سيفكس بذلك ..

واتخذت إجراءات دقيقة حتى يمكن مراقبة بيركس . وارتدى بيركس معطفاً أزرق ولم يرتد قبعة ، وانتظر بين الأشجار حتى الموعد المحدد .

وفي الموعد .. اقترب بوندوليس من بيركس ، وتبادلا كلمات السر وبعد نقاش قصير ، وافق بوندوليس على تقديم عميل المخابرات البريطانية إلى فرقة الأنصار يقودها « جاريس » .

ويحتاج انتقالهما إلى الغابات سرية قصوى .. وقال له بوندوليس : سيلتقطك أحد أعضاء الفرقة في شاحنة بالقرب من شارع جوركي . وستكون المقطورة مملوءة بصناديق السمك الفارغة .. وسيختبئ كلاكما في داخل الصناديق طوال الرحلة .

وبعد ظهر يوم ٢١ مايو ، وبعد ساعتين تقريباً من السير على الأقدام . توقف بيركس ، وجالز في وسط الغابة . وتحت الأشجار الكثيفة اختبئ أربعة من الأنصار ومن بينهم .. أرفيتس جاليتس « جاريس » والذي خدم ضمن الفيلق اللاتفي ضد الروس أثناء الحرب .

وقد قضى الأربعة ثلاثة أسابيع في الغابة حتى يتأقلموا مع البيئة . وعند إشارة من جاليتس ظهر أربعة من رجال مسلحون ، كانوا مختبئين وحيوا القادمين الجدد الذين عبروا على الفور عن امتنانهم للأنصار عن السرية المتقنة .

وكانت استراتيجية لوكاسيفكس تعتمد على الصبر .. وأخذ .. الأنصار .. بيركس ، وجالدنز عبر ثلاثة مستنقعات حتى يصلوا إلى المعسكر في المخابئ ، حيث سيمكثون أطول مدة لازمة لإقناعهم بإخلاص الأنصار .

ويتطلب ذلك بعض الوقت .. حيث يباشر كل من الطرفين تقييماً نقدياً لمن يعاشرهم .

وكانت العملية أكثر صعوبة على نحو واضح بالنسبة للمضيفين والذين يخشون أية زلة واحدة يمكن أن تكشف المؤامرة .

وعلى الجانب الآخر ، عرض بيركس برهاناً بسيطاً .. وقال : لها إعطوني اسم أغنية شعبية تفضلونها وتقدمها لكم إذاعة الـ « بي - بي - س » الدولية وإلى من تهدونها .. ويكون لكم ذلك .. ودهش .. عندما ازدري الحاضرون العرض وقال له جاليتس : نحن نعرف من أنت ونثق بك ، وحكم عملاء الـ « كى - جى - بي » من جانبهم على بيركس أنه شخص ذكى وقوى ذو فكر واهتم بالأساس أن يبدأ بجمع الموجودين حوله .. وأظهر ثقته .. وذكر لكل فرد من الأنصار بالتفصيل عن خلفيته وليس من عاداته الارتباك عن أى سؤال مفاجيء حول نقطة محددة .. وقد تعرض لسؤال بعد شهرين عندما حكى عن موضوع معين .. وقيل له مع من سرقت هذا البنك . وفوق كل ذلك كان بيركس يستمتع بلعب الشطرنج وأداء لعبة الورق .. والتي علمها لكل المجموعة .

أما جالدنز فكان أكثر قلقاً ومتوتر الأعصاب ، ويمارس روتيناً يومياً مملأً ينظف الأسلحة . ويأكل وينام .. وأحياناً يعوق نومه الإرسال باللاسلكى . ويصبح عصيباً بسهولة .. وقال عنه جاليتس « وعلى وجه خاص .. جالدنز .. دائماً شكاك » ، وذلك في تقرير بعث به إلى مسئوليه في ريجا .

وينفعل جالدنز تجاه أية ضوضاء تنبعث من شجرة تحترق في الغابة . خشية أن تكون جاسوساً من الـ كى - جى - بي .

وكثيراً ماحذر جالدنز المجموعة بأن المفتشين الروس مهرة جداً .. وعليهم ألا يتركوا أية آثار لهم بعناية ، وأن تكون هناك حراسة دائمة .. ويوفى كل فرد من الموجودين لمواقفه .. ويؤكد جاليتس أنه من الأفضل ألا يغادر الغابة ويعتمد على الأنصار في جمع الاستخبارات والحصول على الطعام ..

ووافق جالدنز .. ولكن آثار سخطه على هذا الوضع لفقدان الحركة مجادلات بينه وبين بيركس الذى يهتم أكثر بإرسال الاستخبارات إلى لندن وتدريب مشغل لللاسلكى جديد ..

واختار بيركس واحداً من بين الأنصار هو .. كازيماس كيبورس « كمتدرب مثالى » فهو يبلغ من العمر ٢٤ عاماً وقد فسر بيركس دوافعه لعداء الشيوعية وقال « قبل الحرب كان والدى نائباً لرئيس البوليس وحكم عليه بالسجن لعشرين عاماً من قبل الـ « كى - جى - بي » ومنذ أن أرسلت والدتى وأختى إلى سيبيريا في حملات التهجير الجماعى في العام الماضى ، هربت إلى الغابة .

وخلال ثلاثة شهور .. علم بيركس « كيبور » تكنيكات « الشفرة ونقلها ، وبفضل ذلك وفي نهاية الفترة أصبحت سرعة التلميذ تصل إلى ستين رمزاً في الدقيقة .

ولم يكن بيركس يدرى ان كيبورس يتقن معدل ١٢٠ رمزاً في الدقيقة بفضل تعليمه في مدرسة الـ « كى - جى - بى » في موسكو أثناء الحرب . وفي أكتوبر سنة ١٩٥٠ بعث بيركس بإشارة إلى « جابرييل » وهو الاسم الحركى لسيالديجاس في المراسلات الشفرية ليقدم له مشغل اللاسلكى الجديد .. وبعد سلسلة من الاختبارات ، وصلت موافقة من لندن وتقول « إن مشغل اللاسلكى يبشر بأفاق طيبة » ، مع عرض أن يصبح كيبورس عميلاً كاملاً للمخابرات البريطانية بمرتبة عشرين جنياً استرلينياً في الشهر . وكان المرتب المعتاد ، وسيودع المبلغ بانتظام في حساب بأحد بنوك لندن وحددت المخابرات البريطانية اسماً حركياً لكيبورس هو « ليوقا » أو بالأسد ، ودعى بيركس للاحتفال بتلك المناسبة على زجاجة فودكا . وعندما أتى الكحول بمفعوله .. وضع بيركس يده على ظهر صديقه واعترف له بأنه خلال الأسابيع الأولى شك في أن الانصار هم ضباط الـ « كى - جى - بى » وضحك كلاهما .. وشربا نخباً آخر .

ولم تكن برودوى متأثرة بالنتائج التى حققتها المجموعة .. واشتكى المحللون البريطانيون من أن المعلومات هزلية وتتضمن معلومات عن أنواع الطائرات ، والظروف الاقتصادية ومعدلات الإنتاج في المصانع الاستراتيجية وصوراً لشخصيات من الحكومة وموظفى الحزب وأماكن معروفة لانتشار القوات في المنطقة ، وكشف الخبراء في لندن أن تلك المعلومات ربما تكون غير دقيقة .. بالرغم من أن تلك المادة التى أرسلت من لاتفيا .. ضمنت ملخص الاستخبارات البريطانية الذى يعرض بانتظام على رئيس الوزراء ووزارة الخارجية .

وكان فيفرس أيضاً مهتماً .. بفقر نوعية الاستخبارات التى سلمها لبوندليس ، ولكن عموماً كان هناك قيماً في موسكو للإفراج عن تلك المعلومات وحتى لمجرد الحفاظ على عملية هامة ومسموح فقط بتغذية لندن بالمعلومات المنشورة في الصحف لأنه حتى المعلومات الخاطئة « السرية » ستثير شكوكاً وخيبة أمل . وكان طموح ماكين وساليرجاس يعتمد على بيركس وإرساله استخبارات أفضل حتى يوسع من العمليات . وقوبل طلب بيركس من الأنصار لمزيد من الاستخبارات بالرفض القاطع وقال له جاليتس وبوندليس : « إننا نريد مساعدة من الغرب .. وليس العكس من ذلك .. » .

وكانا في ذلك يعكسان تعليمات تلقوها من لوكاسيفكس عبر عميل لك « كى - جى - بى » وله منزل يقع على بعد أربعة كيلو مترات من المعسكر وكان يُرى غالباً وهو يتجول في الغابة .

وأجاب بيركس « المساعدة تعطى لمن يساعدون أنفسهم »

وكان الصراع من أجل البقاء في الغابة .. حصنه تدريجياً ضد الواقع .. ولكن تغير ذلك على نحو حاد عندما وصلت صحيفه في يناير سنة ١٩٥٠ أعطاهم له جاليتس وجاء فيها أن الحرب قد اندلعت في كوريا وقد شرح جاليتس الأمر بقوله .. تلك هي الحرب العالمية التي توقعها الجميع وستنتهي بهزيمة الشيوعية « وسترسل المخابرات البريطانية المزيد من المساعدات » .

وبينما كان بيركس وجالدينز في الغابة .. كان الرجل المسئول عنهما وعن مصيرهما « هارى كار » يعبر الأطلنطى على متن أفخر السفن « كوين مارى » وكانت تلك أولى رحلات كار إلى الولايات المتحدة ، وكان مينيزيس ، قرر أن تنسق المخابرات البريطانية على نحو أوسع في شأن عملياتها السوفيتية مع المخابرات الأمريكية الـ « سى - اى - ايه » . وخاصة منذ التعاون الوثيق في البانيا والذي أثبت فائدته الكبرى .

وفي ١٤ أبريل سنة ١٩٥٠ أصدر مجلس الأمن القومى توجيهها جديداً ( رقم ٦٨ ) والذي امر فيه المخابرات الأمريكية بشن هجوم مضاد ، غير عسكري ضد الاتحاد السوفيتى وبتشجيع القلاقل والتمردات . ومرة أخرى .. تآثر ضباط المخابرات الأمريكية بالنص الحرفى للتوجيه وبالأحداث وكذلك بالحرب في كوريا .. وفى ذلك الظرف الطارئ تطلعت الوكالة إلى المخابرات البريطانية كحليف مخلص ومؤهل .

وكان كار يمثل عند المخابرات الأمريكية نموذج وتقاليد وكفاءة الوكالة « البريطانية » .

وكان من بين أوائل المرشحين بكار في واشنطن ، مسئول المخابرات البريطانى المقيم في واشنطن كيم فيلبى . وكان الاثنان قد أصبحا صديقين بين عامى ١٩٤٥ ، ١٩٤٧ ، عندما كان كار يبني شبكة العمليات الشمالية . وكان فيلبى مسئولاً عن القسم التاسع . وفى خلال العامين الذى خدم فيهما فيلبى في تركيا لم تتقاطع طريق الرجلين ، حتى ترقيه الجاسوس ووصوله إلى واشنطن في أكتوبر سنة ١٩٤٩ .. وكان فيلبى يحس بخيبة أمل تجاه كار .. لان ولع كار بالسرية قد حد من كمية المعلومات التى حصل

عليها جاسوس الـ « كى - جى - بى » من لندن .

وفور وصول كار إلى واشنطن .. اصطحبه فيلبى إلى « التيمبو » في شارع « بى » حيث مقر الـ « سى - آى - إيه » وقدم الزائر رسمياً إلى هارى روستزك رئيس القسم السوفيتى في الوكالة الأمريكية ..

وضعت طبيعة الرجل الانجليزي المتحفظ إلى حدما عندما أدرك أن العضو المقابل له .. محب للانجليز بسخاء ، ومخلص أيضاً في محاربة الشيوعية .. ونوى وانتوى كار ان يناقش ولكن في خطوط عريضة عمليات في بولندا ، وأوكرانيا ، ودول البلطيق ..

وكلا الجهازين .. الأمريكى والبريطانى قد أسقط بالمظلات فريقاً له في أوكرانيا سنة ١٩٤٩ ولكن اختفى العملاء وافترض أنهما وقعا في الأسر . وخطت الوكالة الأمريكية سنة ١٩٥٠ لستة عمليات إنزال وأملت الوكالة البريطانية إرسال أكثر من فريقين على الأقل ، ولم تتركز الحاجة للتعاون على أى المجموعات هى التى تتلقى المساعدة الغربية ولكن أيضا على مواعيد المهمات والمناطق المستهدفة للإنزال . وتبادل كار وروستزك المعلومات السرية والفنية وكان هدفهما تجنب أى خلافات خطيرة .

وبناء على طلبهما .. دون فيلبى ملاحظات للرجوع إليها مستقبلاً . وعندما استدعى فيلبى .. كانت المناقشات السائدة حول المناوشات التى يقوم بها القومى والأوكرانى « ستيفان بونديرا » .

وقد بدأت علاقة انجلترا مع بونديرا في الثلاثينات عندما كان رئيس المنظمة القومية الثورية الأوكرانية .. واتصل به ضابط بالمخابرات البريطانية ومعه عرض محدد بوضع شبكته من « المخبرين » داخل الاتحاد السوفيتى تحت تصرف بريطانيا ، وقبل بونديرا العرض ولم تتلق منظمته مساعدات مالية فقط ، بل مساندة من انجلترا .. وجرت محاولات بث عملاء المنظمة القومية الثورية الأوكرانية من فنلندا وعبر الحدود إلى الاتحاد السوفيتى .

وكان ضابط المخابرات المسئول عن تلك العمليات هو كار والذى أصبح وظل على علاقة مع بونديرا القومى المعادى بحماس للشيوعية .

وفي سنة ١٩٤٥ لم يعثر كار عن معلومات عن نشاطات بونديرا في حالة الحرب ، وكان غرضه الوحيد الذى سيطر على عقله هو مواصلة النضال ضد الشيوعية .

وفي سنة ١٩٥١ .. كان بعيداً عن الاحتمال أن يكون كار على علم بأن جماعة بونديرا قد ارتكبت فظائع أثناء المواجهة مع النازي ، أو يكون .. طبقاً لمساعديه .. متعاطفاً مع إجراء أية تحقيقات عن ماضى بونديرا وكان اهتمامه الجارف هو الحملة الراهنة ضد ستالين .

واعترف روستزك لأن اجتماع واشنطن مع كار بأنه « كان مهتاجاً ويفكر بما في باطنى » وعلى أية حال فإن قلقة تلك المرة قد نحي جانباً وكان كار يثق في الأوكرانيين أيضاً بوضوح كما كان يفعل ماكين مع أبناء البلطيق . وبدا أن المنفيين عناصر لها قيمتها .

ولم يكن أحد مستعداً للتفكير أن أولئك عناصر ضائعة .. فالكل مشبع بالتفاؤل بزرع العملاء في قلب أكذوبة ستالين ..

وأبلغ كار روستزك أن بريطانيا نشطة في منطقة البلطيق وتنوى زيادة نشاطها .. ولكنه ليس في حلٍ .. لذكر التفاصيل لأن الأمريكان لم يكن لهم عناصر في المنطقة ولا حاجة للتنسيق ..

وأعلن روستزك .. ننوى إرسال العملاء إلى ليتوانيا وأيضاً دون ذكر للتفاصيل .. وهل يمكننا تبادل الراى على مستوى « المكتب » ووافق كار على قدوم قوائد العمليات السوفيتية في ميونيخ جورج سيلك إلى لندن للتشاور مع ماكين .

وكان هناك قليل من التطبيع بين روستزك و كار ، قبل أن يعود ضابط المخابرات البريطانية إلى بريطانيا مسروراً برحلته وعند عودته .. عرض على أسرته « قائمة الطعام في السفينة كوين مارى » وتعجب كل فرد ، عندما قارن تلك القائمة بذلك التقشف الصارم في حياتهم اليومية ، وأن هناك تلك الوفرة من الطعام على متن السفينة البريطانية .

طار جورج بيلك إلى لندن من ميونيخ بعد ذلك بفترة قصيرة ، للقاء ماكين وتبادل الخبرة في أوروبا ، وكان هناك تخميناً بأن ستالين سيغامر أثناء انشغال أمريكا في كوريا ويشن هجوماً مفاجئاً في الغرب .. وكان بيلك يشعر بضغط من واشنطن لبث العملاء في روسيا ويحتاج إلى إعادة تأكيد على خطته . وكان يحترم وبلا أدنى خجل سمعة المخابرات البريطانية وإن أخفى ماكين صراحة شعوره بأنه يمثل جهاز المخابرات الأكثر تفوقاً ، وكان الضابط البريطانى مضيفاً حميماً ودعاه الأمريكى إلى ناديه للغداء وإلى منزله للعشاء . ودهش بيلك عندما شاهد جهاز التلفزيون الدقيق في

غرفة معيشة ماكين . وإن كان يثق على نحو خاص بأن تلك الطوائف لا تمتد إلى إدارة المخابرات البريطانية ، ثم طرق موضوعاً عن بعض التطورات الحديثة في ليتوانيا .

وقال الأمريكي : أدرك أن المخابرات الأمريكية تدير تقريباً كل العمليات في البلطيق مع بعض مشاركة سويدية .. وبالطبع هناك المكتب الثاني ( المخابرات الفرنسية ) والتي احتكرت مجموعة VLIK الليتوانية ولكن هذا تغير ، فلقد انتهت تلك المجموعة إلينا وهناك بعض الحزن .

استمع ماكين إلى بيلك وهو يتناول قصة حساسة والتي أثارها حديثاً زايمينس .

وفي يناير زار ميسنجور كروفيكس ، قائد جماعة VLIK واشنطن حيث وعده كبار موظفي الخارجية الأمريكية والبيت الأبيض لأول مرة بالدعم السياسي والمساعدة المادية للعمليات السرية . وقبل عودته إلى أوروبا التقى كروفيكس مع فيافدا وهو ضابط مسئول بالـ « سي - إي - إيه » وأكد له أن الوكالة ستزود الجماعة VLIK بالمال والمساندة .

وفي يونيو سنة ١٩٤٩ انتقل الكولونيل انتناس سوبا وأسرته إلى ميونيخ .. وهو القائد العسكري للمجموعة .

بناء على دعوة من بيلك ، وكانت الوعود الأمريكية ممتدة .. « سنعطيك المساعدات الكثيرة التي تطلبونها إذا جنتم معنا . ولم يكن هناك من حدود » .

وكان بيلك صادقاً في مكمنه ، حيث عاش شوقاً واستقر في مقر إقامة مريح وتحت تصرفه نقوداً لا حدود لها وقدم للوكالة الأمريكية ثمانية عملاء أكفاء اختارهم من جماعة VLIK للتدريب .

وفي الأسبوع الذي اندلعت فيه الحرب الكورية قُدم إلى بيلك منحة .. هي لوكاشا واثنين من الليتوانيين الذين غيروا ولاءهم .

وبعد ١٨ شهر من التدريب على يد المكتب الثاني رافقهم الجنرال شميتلن إلى قاعدة جوية عسكرية خارج باريس في المرحلة الأولى لعودتهم إلى ليتوانيا .

وفي اللحظة الأخيرة .. ألغيت المهمة حيث فقدت الوكالة فريقاً مكوناً من ثلاثة رجال أرسلوا من السويد إلى روسيا ، وشككت المخابرات الفرنسية في خيانة أحد أعضاء فريق لوكاشا .

وكان ولاء لوكاشا للفرنسيين هشاً .. وسرعان ما عرض نفسه على وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وقبل بيلك العرض وكان لوكاشا مدرباً جيداً وله اتصالات طيبة وسط الأنصار الليتوانيين وكان في « مفهوم » الـ « سى - أى - إيه » « جاهز للمهمة » وكانت تلك المشكلة التي شرحها بيلك إلى ماكبن .

وبأية حسابات .. فإن لوكاشا امتلك مكونات بطل من أبطال هوليوود .. فهو جذاب وشجاع ومخلص لعقيدته الكاثوليكية ولقوميته أيضاً . وكان يقضى خمسة عشر دقيقة يوميا قبل جلسات التدريب في الصلاة ، وكان تشدده نتيجة لخبراته ، مثل الكثيرين من أبناء وطنه .

وقد وقع عليه أبلغ الضرر بعودة الشيوعية والتهجير الجماعي وهرب مع آلاف الشباب إلى الغابات وانضم إلى « إخوان الغابة » لمحاربة الديكتاتورية .

وحيثما ترك بحثاً عن المساعدة . كان يعذبه الغياب عن الكفاح ، وكان في خطباته التي أرسلها إلى خطيبته من مستشفى للأمراض الصدرية في باريس ويعالج بها من مرضه ، ميلودراميا ولكن صادقاً قال « لا أستطيع أن أفهم لماذا أنا هنا وتركت الميادين الملطخة بالدم في ليتوانيا ، محبوبتنا ليتوانيا التي تصلب وتتلوى من الألم وأتألم أنني لأعاني نفس المصير والموت مثل الآلاف . أشعر بصرخات الجحيم وأحاول أن أرى الوجوه التي روعها الكابوس وبدموعى أحاول أن أضيء مشاعري ، ولكن أرى دائما الطرقات قد امتلأت بالأصدقاء الذين لحقهم الموت . وأتوق للحياة .. ولكن أبدأ أريد أن تكون عظامى بجوار أولئك الأصدقاء المدافعين حقاً عن الحرية » .

حتماً .. سيشتد كرب لوكاشا عندما يستمع عبر نافذة حجرة نومه إلى صوت النصارى مبتهجين « ضاحكاً .. مملوءاً بالسعادة والامخاوف ولاأنين النساء الأرامل أن الأشياء تصبح ثمينة عندما تكون صعبة المنال » .

إن ضغط الإحساس بالعجز زائد عن الحد .. خاصة إذا كان يتعلق « بالدفاع عن قضيتنا » وأكره الناس الذين يساعدون بصمتهم على صلب أمتنا .

وعشية التحرك إلى ميونيخ زوجه كروفيسكس عروساً تسمى « نيجولى » وكانت عروسه الزوجة الثانية ، الأولى ليتوانية وانفصلا بعد ستة « أيام غسل » والتقيا مرة أخرى . وقام بتلك المحاولة الصغيرة ليخفى حقيقته وحتى يوحى بأنه سيموت من أجل قضيته .

ولم يكن لدى لوكاشا شك من أن الـ «سى - آى - إيه» هي خلاصته . وقال :  
« أخيراً أنا مع أناس يعتقدون أننا نستحق الحرية ، وهذا مايريده بالضبط بيلك  
شخص ذكى مفعم بالمثل المخلصة ..

وأزعج لوكاشا بيلك في مناقشاتهما بإقناعه أن شبكة المخابرات البريطانية في  
ليتوانيا اخترقتها الـ «كى - جى - بى» .

وأخبر بيلك ماكبن في لندن في يونيو سنة ١٩٥٠ بالقول : إن رجلنا يعتقد أن  
ديكسنس قد تحول ، فماذا سمعت منه منذ عودته ؟

وتوقع ماكبن السؤال . لأن العداء بين المجموعة الخاضعة لإشراف بريطانيا  
VLIK والتي يقودها ديكسنس ..

ووصلت ثلاث رسائل في يونيو من بريدس « مسئول ديكسنس » ومنذ وصولهم  
في الأول من مايو .. حكموا على الجميع بالثقة .. ولكن الرابع كان محل شك .

وكانت الرسالة مجرد دعاية ووصلت متزامنة مع رسالة من بيبلس ، العميل الثالث  
في المهمة يسأل فيها إذا كانت المخابرات البريطانية تعلم ملابسات اختفاء ديكسنس ،  
وفي الواقع .. أن ديكسنس وبريدس ألقى القبض عليهما ولم يعرف شيء عن بريدس  
ومن المحتمل أن يكون أعدم .. اما ديكسنس ، فربما ، يكون قد وافق على التعامل مع الـ  
« كى - جى - بى » . وبعد أربعة شهور فيما بعد قتل بيبلس في معركة داخل الغابة مع  
الـ « كى - جى - بى » .

وفي لندن ، عرف ماكبن أن الـ «سى - آى - إيه» تمتلك أساساً معقولة للشك ، ولم  
تكن لديه النية أيضا بأن يكشف للأمريكيين أن ديكسنس في إجابته على سؤال  
« خدعه » تضمنه خطاب أخير قد فشل في الاختبار .

ولا يريد أن يعتمد ادعاء زايمنتس بأنه كان هدفا لمحاولة اغتيال فاشلة في السويد .  
وأخذ ماكبن حكمه من زايمنتس ، الذى هو بالمقام الأخير لا يستطيع أن يشكك في  
إخلاص وولاء أى شخص . وأخبر ماكبن بيلك مؤكداً « أننا على اتصال مع ديكسنس  
وبينما هناك شكوك دائمة حوله فإننا نعتقد أنه أهل للثقة تماماً » .

وعاد بيلك إلى ميونيخ ليعيد التأكد والمصادقة على مهمة لوكاشا .

وقد اعتقدت المخابرات الغربية والمنفيون أن الانصار بالبنادق الآلية وأجهزة  
اللاسلكى إنما يشقون سبيلهم للإطاحة بستالين . ومنذ سنة ١٩٤٥ .. حث قادة

المنفيين شعوبهم بالانتظار حتى تحين إشارة التمرد ضد الشيوعيين .

ووصل مئات المتوسلين من جماعات الضغط الممثلة للملايين المهاجرين في أوروبا الشرقية إلى البيت الأبيض ووزارة الخارجية .. ويحثون بإصرار الساسة الأمريكان على الاعتقاد بأن هناك حركات خلف الستار الحديدي تتصدى للقهر السوفيتي ، وتحتاج إلى دعم .

وحمل الضغط الكونجرس إلى عقد جلسات استماع علنية سنة ١٩٥٠ عن « العدوانية الشيوعية » وكان الساسة في طليعة من يحثون البنناجون والـ « سي - أي - إيه » بمساندة الأنصار .

وعندما عاد بيلك إلى ميونيخ من لندن ، لم تكن الخطة أكثر ملائمة للمنفيين ليبرهنوا أن كلمتهم لم تكن من منتجات « مصنع الأحلام » .

ولم يتوقف أحد ليسأل أو يفكر أن سكان دول البلطيق مثل الأوكرانيين والقوميات السوفيتية الأخرى عانوا حرمانا لامثيل له واحتلالاً وحرماً لأكثر من عشر سنوات وأنهم مجهدون ومنهكون .

ولم يتلق بيلك ولا الآخرون في الـ « سي - أي - إيه » أى تقارير شهادة عيان مدعاة للثقة .. ولما جيز استخبارية عن الاستراتيجيات الأخيرة للـ « كى - جى - بى » لضرب الأنصار ، ولأعن الزراعة الجماعية الإجبارية ، ولأعن الترحيل القسرى لعدد ٣٥٠ ألف ليتوانى إلى سيبيريا . ومذبحة لآلاف الأنصار في معارك قاسية ، وفضل بيلك أن يقبل زعم كوريفيسكس ، وسوف .. بأنهم وهبوا معدة للقتال ، ولم يشك أحد في ميونيخ في حكمتهم ولم يتوقف أحد ليتأمل كم الوقت الذى تستغرقه عملية بناء مقاومة موثوق بها .. وشبكة جاسوسية خلف الستار الحديدي .

ولأن كل فرد ظن أن إطار العمل موجود وقائم . وفي نهاية اليوم .. عندما يجلس هؤلاء في الفيلا المستولى عليها حول ميونيخ تبدو المحصلة مثبطة للهمة ، وذلك أن معنويات أكثر العملاء المخلصين والشجعان تتعثر .

وبيلك يتقدم ليلقى خطبة حماسية « إننا نحارب من أجل الحرية » وهو لاشك في ذلك مخلص ، وتنتعش معنويات عملائه . ولكن لبعض الوقت فقط . ثم يتحول بيلك إلى سوف ، وكوريفكس ليزودهم بالأمال والتطلعات وأن قضيتهم تستحق التضحية ..

وفي نهاية سبتمبر سنة ١٩٥٠ وصل خطاب من لوكاشا إلى زوجته نيجولا يخبرها فيه أن زوجها في عشية الرحيل . وقال فيه : « إذا كان مصري أن أقتل ، فلتحلمى أننى سعيد حيثما أكون واجعل حياتك سعيدة .. لاننى سأصبح جزءاً من تراب وطنى والذى هو الآن مشبع بالدم » .

وفي الأول من أكتوبر سنة ١٩٥٠ ، لوح لوكاشا واثنان آخران بتحيات إلى بيلك .. والآخران هما بيندكتوس ترامس ، وباولوس سيرفاس . وهو مشغل جهاز اللاسلكى ، وحمل لوكاشا اسماً حركياً هو « سكرجانيوس » وسلم قائد الفرع مبسم سيجاره الفضى وابتسم ، وسار واثق الخطى إلى شاحنة منتظرة .. ولم يكن معهم بطاقات هوية ، ووافقوا على ذلك لأنهم لن يعودوا إلى الغرب . وبعد ست ساعات كانوا فى القاعدة الجوية الأمريكية فى فسبادان وكان هناك طياران جاهزان للتوجه إلى الشمال الشرقى بطائرة من طراز ( س ٤٧ ) ستتوجه إلى منطقة الإنزال بالعملاء .

وكان الطياران قد سبق لهما إنزال اثنين من الأوكرانيين منذ عام مضى ولذا اتقنا إجراءات الإسقاط الآمن وطارا على ارتفاع مائتى قدم عبر الحدود الروسية ثم ارتفعا فى اللحظة الأخيرة إلى ٥٠٠ قدم وهو أدنى ارتفاع لإنزال بالمظلات وشعروا بالفخر لأن رادار العدو فشل فى التنبه للمقتحمين .

وبعد يومين من ذلك وفى ٢ أكتوبر سنة ١٩٥٠ ، وفى طقس حسن أقلعت الطائرة ( س ٤٧ ) .. وأعطى كل عميل بخلاف المعدات عشر ساعات ، و٢ آلاف روبل وألفى جنيه استرلينى .

وهبط الثلاثة عملاء فى منطقة تورجيس بعد ثلاثين من السقوط من الطائرة ، وفى ظلام موحش .. وسمع سيرفاس زميله لوكاشا يقسم بأن كتفه جرح بينما تراميس يلعن المظلة التى تحمل نصف معداتهم وأغذيتهم والتى اختفت ، وقرر لوكاشا بالأم واضح « أن ظلام دامس ويتعذر علينا البحث ويجب أن نبتعد » ودفنوا بقية معداتهم وأمسكوا بالبندق النصف الية .. وكشف الفجر أنهم يبعدون مائة ميل عن منطقة الهبوط المقررة وبعد أسبوع فيما بعد ، اجتمعوا أخيراً مع رفاقهم من « إخوان الغابة » . ولم تكن الأخبار مشجعة ، حيث أكملت فرقة من الجيش الأحمر زحفها عبر الغابة . وبعد سلسلة من المعارك الطويلة والقاسية قتل فيها مايقرب من مائة فرد من الأنصار

وكان الواقع قاسياً : فالحرب التي اشتعلت منذ خمسة أعوام على وشك أن تنتهى ، رغم أن الغابات لاتزال آمنة نسبياً .

وكانت أول رسالة شفرية تصل إلى ميونيخ ، سلمها لوكاشا إلى سيرفاس لإرسالها. لمن يرد فيها ذكر عن خسارة حرب . وكانت تقريراً فقط عن وصولهم الأمن . وفشلت المحاولة الأولى من سيرفاس لنقل الرسالة في ٢١ أكتوبر .. بعد أن تلفت بطاريات جهاز اللاسلكى بعد استخراجها من قرب منطقة الإنزال .. وبعد استخدام « مولد » جاءوا به على عجل كان سيرفاس متأكداً أن بث الرسالة في اليوم التالي سيكون ناجحاً .

بعدما تلقى شكراً من ميونيخ عبر الجهاز واكتملت الدورة .. وخبىء الجهاز في غرفة فحم ، ووقف لوكاشا يكتشف حالة الأنصار واستقر سيرفاس في مخبأ بالغابة في حالة خاملة . ويستمع إلى الإشارات وجاهز لبث رسائل لوكاشا إذا طلب منه ذلك .

وقال جوردون ستيورات إلى فيافدا في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥٠ : « إن الرسائل مشوهة » إن الخبر الليتوانى قد حصل على إجازة من أمريكا ليكون في ألمانيا ، عندما فُجرت مهمة لوكاشا .

وانتظر مع رئيس الـ « سى - أى - إيه » في مقر الإدارة في « كارسروه » لاكتشاف النتيجة وهيجت أنباء ستيورات أعصابه وقال : « علينا ألا نراسلهم . كل المنظمة مخترقة . ديكسنس غدر بهم وخانهم » .

وفي ميونيخ قبل بيلك شكوك فيافدا باعتبارها مدعاة للثقة . وقال إلى الكولونيل سوفيا : « من الممكن أن يكونوا قد اعتقلوا أو تحولوا » وصدم القائد العسكرى لجماعة VLJK .. إن المخاطر التى حسبت لها الوكالة كانت أكبر كثيراً مما يتخيل .. وصاح فى بيلك قائلاً : « من الجنون الاعتقاد بأنك تستطيع أن تبني شبكة مقاومة بهذه الطريقة .. إنهم تستغرق سنوات إننى أعرف الروس » .

وبعد اسبوعين فيما بعد وصلت رسالة أخرى من سيرفاس وكان قد حصل على الاشارات الشفرية من لوكاشا عبر رسول .. ولكنه لم يعرف محتوياتها على وجه الدقة واعتقد سيرفاس أن ذلك يجزم بأن مازق الأنصار أسوأ مما توقع وأضاف أنه لا يوجد دليل على التعبئة الروسية ، وأقنع ذلك بيلك وفيافدا أكثر بالخيانة . وإذ يعتقد

البنجاجون والساسة بأن روسيا تعد للحرب ويرسل لوكاشا بالعكس .. وكانت هناك أرضية للشك بأنه إما اعتقل أو تحول .

وأعطيت مهلة إلى بيلك بالعودة إلى لندن ولم يكن هناك أى ملمح للبعضاء عندما أجمل بيلك شكوكه إلى ماكبن في لقاء صريح في برودوى ، ومرة أخرى أعلن على مخاوفه ان يكون ديكسنس خائناً ، ومرة أخرى أخبره ماكبن .. بينما هناك دائماً شكوك .. فإن الوكالة البريطانية تثق في ديكسنس .

وطار بيلك عائداً إلى ميونيخ وأعد تقريراً إلى واشنطن يشرح فيه شكوكه ولايقدم حلاً . وللمصادفة .. كان كار على وشك أن يصل إلى واشنطن لمزيد من المشاورات مع روستك وكان الأمريكى قد أقنع بأن العملية الليتوانية تعرضت للخيانة من قبل عميل بريطانى وطالب اجتماع « مواجهة » وجهاً لوجه ورغم أن العمليات في أوكرانيا كانت الأكثر أهمية في جدول الأعمال .

وطبقاً لقول فيافدا « فان مصداقية ديكسنس لم تكن مؤكدة » .

وسأل روستك .. هل يمكن لأى شخص أن يخرج مرتين من روسيا بهذه السهولة ؟

وكان ذلك بالنسبة لكار « مجرد طريق آخر لترديد سياسات المنفيين التى تصيب بالضجر » .

إنها مجموعة VLAK ضد مجموعة VLAK وليست من شئون الجاسوسية فى شىء ، وكان فيلبي حاضراً الاجتماع مرة أخرى كسكرتير لتسجيل الجلسة .. عندما رفع البريطانى والأمريكى صوتيهما كل على الآخر .

وسأل روستك : هل تعرف أى من تلك العمليات تحت السيطرة الروسية ؟

ورد كار : عملياتنا لا .

واشمئز روستك وقال : كيف يمكنك ان تتأكد من أن عميلك ليس تحت السيطرة ؟

وأجاب كار : نحن متأكدون .

وقال روستك : ولكن كيف يمكنك أن تتأكد ؟

وأجاب كار : لأننا قمنا باختباراتنا ومجموعتنا محكمة ضد الاختراق .

ورد روستزك : وكذلك نحن .. ولكن هناك مجموعة واحدة مخترقة .

ودافع كار : أعتقد أننا نعرف عملنا مع تلك الواحدة .

وكان فيلبي يدون في عجلة الحادثة المتبادلة حرفياً . وكما ادعى فيما بعد أن المخابرات البريطانية والـ « س - أى - إيه » كانتا لهما دى في البلطيق ولا يمكن التوفيق بين الطموحات المتنافسة بينهما .. وهذا ملاحظته بين الجماعات المتصارعة وقتالهم المتكرر لأنفسهم . وفي إحدى المرات أصبح الموقف خطيراً مما استدعى أن يُرسل هارى كار خبير الشمال الأوروبى فى برودوى إلى واشنطن ومعه عرض يائس لإيقاف هذا العفن . وانتهت زيارته بكارثة حيث تبادل كار والأعضاء المناظرين له فى الـ « سى - أى - إيه » الاتهامات كل لآخر بالكذب بالجملة .. وهذا حق تماماً .. وكان ذلك على مائدة الاجتماع ..

ولم يكن فيلبي مدركاً لكل تلك المفارقات . رغم أنه عرف ديكسنس عميل المخابرات البريطانية منذ رئاسته للقسم ( ٩ ) .. ولكنه لم يعرف أن هذا الليتوانى كان تحت سيطرة الـ « كى - جى - بى » .

وأبلغ فيلبي المركز فى موسكو بمحادثة كار وشعوره النهائى حيث قال : « إن برهان صدقنا هو أننا نصعد من نشاطاتنا » وفى ديسمبر كان عميلان ليتوانيان على وشك الإنزال فى شاطيء بالانجا عن طريق كلاوس . وهما : الجيس ليخمانز وبول جاينزكاس ، وكلاهما ضابط لاسلكى مدرب ومن المقرر أن يلتقيا مع ديكسنس وبعد ثلاثين عاما فيما بعد عبر كار وبكل أسف ومرارة عن الحماسة التى لانظير لها ..

ولأن كار أبحر عبر الأطلنطى عند عودته إلى انجلترا .. ولم ير عناوين صحف نيويورك التى تبرر لحكمة إرسال فريق من العملاء .

وفى نهاية نوفمبر .. شنت الصين الشيوعية هجوماً مضاداً فى كوريا وفى الأسبوع الثانى فى ديسمبر .. قالت الصحف ، وكار لايزال فى البحر ، إن الجيش الأمريكى يتقهقر وتعمه الفوضى ..

وكان بعض الخبراء يتضاربون حول ضخامة الكارثة المفاجئة .. وأن حرباً محلية على الجانب الآخر من الكوكب تتحول الآن إلى هزيمة أمريكية كبرى . وماهى النتائج لذلك على أوروبا ؟

وبدت انتصارات الأعداء كاسحة : أوروبا الشرقية والصين أصبحت شيوعية

وهناك القنبلة الذرية الروسية وحتى فرنسا بدت الضحية الجاهزة للسقوط في أسر الهيمنة الشيوعية .

وعلى قمة هذا كله ، كلاوس فوخس العالم الذرى والذى ذهب من بريطانيا إلى لوس انجلوس أثناء الحرب أصبح الآن متهما بالتجسس لحساب السوفيت وكان ذلك عند كار .. البرهان الأخير أن الشيوعية الدولية صار لها شبكة محكمة ، وفكر .. في الحاجة إلى العملاء داخل الاتحاد السوفيتى حتى يحذروا المخابرات البريطانية عن أى هجوم وقائى .

وفي لندن ، كان ماكين وثلاثة ضباط من البلطيق يجندون وبكل ما فى طاقتهم .. أبناء البلطيق للتدريب .

وفي منزل .. فى غرب لندن كان الشباب الليتوانى يحتل هذا المنزل وقد أتوا إلى بريطانيا كعمال زراعيين تحت مظلة مشروع « ويست وود هو » .

وعملوا بعد ذلك فى أعمال النقل بلندن وبعدها يفرغون من الشراب فى الأمسيات .. كان الموضوع المفضل لديهم للحديث هو إمكانية حرب عالمية جديدة تهزم الشيوعية ، وكان من بين العمال .. ليتوانيان كبار فى السن كانوا جنوداً وعمال خدمات مدنية وسياسيين فى عهد الدولة المستقلة قبل الحرب .

ومن الطبيعى والمنهجى ، أن يكون هؤلاء هم هدف المخابرات البريطانية حيث يلائمون أهدافها تماماً .

وكان زيجماس كوديركا يبلغ ٢٤ عاماً واغتصبه الألمان من المدرسة سنة ١٩٤٤ هو وكل الفصول الدراسية وأجبروا على السير غرباً وحفر الخنادق للقوات المتراجعة . وكان الكريسماس لسنة ١٩٥٠ المناسبة الأولى منذ إطلاق سراحه التى يفكر فيها فى مستقبله والهجرة إلى كندا حيث يمكن أن يتخرج من الجامعة وعندما أجلى جيش الحلفاء من سول وهُزم فى الشرق الأقصى ، دُعى كوديركا واثنين من اصدقائه لزيارة مكتب الكولونيل سيتكوس وهو ضابط ليتوانى وقال لهما عند مستهل استقباله لهما : إن الحرب مؤكد أنها ستندلع فوراً فى أوروبا ، وستحرر بلادنا ونريد متطوعين للالتحاق بجيش الأنصار فى ليتوانيا وللمساعدة بريطانيا فى القتال من أجل حريتنا .. فلا بد من الانضمام للمخابرات البريطانية .

وتعجب كوديركا ، رغم ذكائه إلا أنه عامل نقل وقال : ليتوانى يصبح عضواً فى المخابرات البريطانية .

وقال له الكولونيل : من أجل بلادك ، وهناك مكافآت ستمنح خمسة جنيهاً أسبوعياً عن كل الفترة التي تكون فيها بالخدمة ويعدونك أيضاً بالجنسية البريطانية عندما تفضل العودة إلى بريطانيا .

وقبل كوديركا العرض على الفور ، ودفعه اليأس والحاجة إلى المال والفرصة الحصول على جنسية لإكمال تعليمه بالجامعة .

أما الآخرون فلقد حركتهما دوافع وطنية أيضاً وبعد أسبوعين وصلا إلى المدرسة في ١١١ شارع أولد تسارش .

وكان الكولونيل الفونس ريبان ضابط أستونى سابق يعمل بهمة ونشاط ومساعدة فيانو بارتل ومعه خمسين من العاملين في المناجم وصناعة الغزل .. تمت دعوتهم إلى السفارة الاستونية للقاء قائدهم القديم في لندن ، وكان ريبان واسمه الحركى روبرت ، قد عمل في معمل للنسيج وكان ذلك يمثل انحطاطاً وظيفياً بالنسبة له .

ولكن لشجاعته الشخصية وكبطل حربي .. دفع بالمخابرات البريطانية أن تعرض عليه العمل معها . وهو الآن يشرب زجاجة سكوتش يومياً على الأقل ويلعب البوكر طوال الليل ، وفي الأسابيع السابقة على الكريسماس أعطى قواته حديثاً مفعماً بالحياة مؤكداً أن بداية الحرب العالمية الثالثة قد حانت وهناك حاجة عاجلة لاتصالات لاسلكية مع المحطات السرية في الوطن للاتصال بجيوش الحلفاء عندما يشنون الهجوم ، وكان ريبان في نظر مستمعيه نصف إله ووطنياً صادقاً لايشق له غبار . وفي نهاية سنة ١٩٥٠ عثر على أربعة متطوعين ، وفي ٢٤ فبراير سنة ١٩٥١ كان العدد ستة ويتدربون في شارع أولد تسارش . ودعى الستة إلى منزل السفير أوجست تورمل لاحتفال بعيد استقلال استونيا ، وتحدث ريبان وتورمان في ذلك الحفل وقال ريبان للسفير بصوت هامس : « عن الصراع القادم والحرب التي على وشك أن تندلع وأضاف : فلتسجل كلماتي » .

وفي غابات لاتفيا ، وفي أثناء شتاء سنة ١٩٥٠ وحيث بدأ الشتاء وبدأت توتى مفعولها على العميلين البريطانيين بيركس وجالدنز ، وتبعه الصيف بالناموس والبراغيث مصاصة الدماء .

وفي نوفمبر همت الحشرات القذرة لانخفاض الحرارة إلى ما تحت الصفر والتي نادراً ما ترتفع إلى درجة خمسة عشر تحت الصفر .

وكان الحياة في أدغال الغابات شيئاً قاسياً على رجال المخابرات البريطانية والأنصار .

وأرسل بيركس إلى ماكبن رسائل تفيض بالشكوى من القلق الجسماني الذي يعيشون فيه . وإن وجدت بعض اللحظات المريحة عندما حصل الأنصار على مؤن خاصة من الطعام من الفلاحين المحليين ، ولم يشهد بيركس ولا جالدنز الطريقة التي يجلب بها الأنصار تلك المواد التموينية . وإذا كان أحدهما قد تجرأ وخرج من المعسكر الآمن ، فسوف يدهشان عندما يكتشفان أن جاليتس يلتقط الطعام من مكان خفى تحت شجرة ضخمة والذي تأتي به سيارة بلا أرقام قادمة من ريجا وكان هناك حادثاً مثيراً أيضاً .. عندما التقى بيركس وجالدنز مع فرقة أخرى من الأنصار واتفقوا على اللقاء مرة أخرى بعد أربعة أيام وقد ألغى الموعد بناء على توصية جاليتس « لأن ذلك يعد عملاً خطيراً » ومن غير المعروف لعملاء المخابرات البريطانية : أن آخرين قد التقوا بجماعة الأنصار وأرسلوهم بعد التحقيق إلى سيبيريا .

وبدأ بيركس يشكو إلى لندن بانتظام عن نقص المال ، فجماعة الأنصار التي يعيش معها تعتمد عليه . ولا تزال لندن تشك ولم ترد على طلبه وفي الغابة ، عرض جاليتس حلاً .. فهناك « صراف بنك » معروف عنه أنه يمتطي حصانا في طريق معزول قرب الساحل ، ومن الممكن السطو على النقود التي بحوزته .

ووافق بيركس ، وانتظر أربعة من الأنصار ومعهم العميلين البريطانيين ليوم كامل حتى يظهر الصراف المسلح .

وأمكن السطو عليه بنجاح . وكتب بيركس في خطاب إلى لندن كان عليّ أن اشارك في عملية السطو .. والتي عرضت كل العمليات للخطر وكان يمكن أن تتعقبنا قوات الأمن السوفيتية .. وخشية أن تتعقب الكلاب السوفيتية أثر مرتكبي حادث السطو .. نصحت المخابرات البريطانية جالدنز بالألا يظهر من مخبأه إلا لامتار قليلة .

وفي ريجا سجل لوكاسيفكس في سجلات العملية « السطو علي ١٢,٨٢٢ روبل » في العملية التي دبرها بعناية ولاحظ أن تلك الخدعة يمكن أن تعجل بلندن لإرسال مزيد من العملاء .

وبينما انتظرت الـ « كى - جى - بى » وتعجبت لصمت برودوى ، شرب بيركس كميات من الفودكا حتى يتغلب على المناخ القارس البرودة ، وعندما أوشكت الفودكا على

النفاز كان يحتسى الكحول .. ورغم الإفراط في الشراب ظل بيركس قنصاً ممتازاً .

وبينما بيركس يرقد في مرضه .. متجمداً من البرد .. ولا يشكو ، واصل مشغل اللاسلكى الذي دربه وهو كيبورس .. نقل الرسائل إلى برودوى .. وفي مارس سنة ١٩٥١ . أوبرق جابريل .. ساليرجاس بأن فريقاً من العملاء سيصل قريباً . وابتهج بيركس وجالدنز وقالوا لجاليتس .. إن لندن تثق بوضوح في عملهما . واحتفلوا بالمناسبة ، واتفقوا أن يبحث جاليتس عن مزيد من الطعام .

وعندما وصلت الأنباء .. أحس لوكاسيفكس بالسرور ولكنه لم يندهش لأنه سمع تلك الأنباء من لندن . لأن مشغل اللاسلكى التابع للمخابرات البريطانية ، كان عضواً فى « كى - جى - بى » وقد جُند لحساب المخابرات البريطانية فى معسكرات الاعتقال الألمانية على يد جون رانسوم ضابط المخابرات البريطانية الذى ألحق بالقسم الفنى فى لجنة الرقابة البريطانية .

وفى أثناء الإعداد النهائى فى إبريل سنة ١٩٥١ لإرسال أربعة عملاء إلى لاتفيا ، وصل إلى لندن ستة ضباط من الـ « سى - أى - إيه » للقاء لمدة ثلاثة أيام مع كار وضباط آخرين فى المخابرات البريطانية وكان جدول الأعمال هو مراجعة وبحث كل العمليات الأنجلو - أمريكية فى روسيا والبلدان الدائرة فى الفلك السوفيتى .

ويقود الفريق الأمريكى روستزك ، وكان مقرراً أن يذهب إلى ميونيخ فى مهمة عمل كرئيس للقاعدة « التابعة للـ سى - أى - إيه » بدلا من شارلى كاتيك . وقد ترك خلفه فى واشنطن ، مدينة وقعت فى قبضة البارانونيا « داء العظمة » .

وكانت المحاكمات قد بدأت مع جولويوس وروزنبرج لاتهامهما بتسريب أسرار ذرية إلى الروس .

وفى الكابيتول ، كان السناتور ماكارثى يشن حملة تفتيش ضد الشيوعية والتى أراد اجتثاثها من المجتمع الأمريكى .

وفى المقابل لم تتلق الإدارة الأمريكية أى معلومات ذات قيمة من داخل روسيا .

وكان الحضور غير المرئى للخطر الشيوعى القادر على كل شىء هو المستقر فى داخل كل ضباط الـ « سى - أى - إيه » الذين وصلوا إلى برودوى فى إبريل .

وصحب فيافيدا .. روستزك والذى أقنعه أن ديكسنس خانة ، ولو كان تحت

السيطرة السوفيتية . وتحت إلهام الرغبة في مواصلة العمليات .. طلب منه أن يعيد فحص الحقائق ، وكانت رسالة خامسة قد وصلت حديثاً من لوكاشا يطلب فيها إرسالاً عاجلاً لفريق جديد يشتمل على ضابط اتصال سياسى لتشجيع الأنصار .

وعارض فيافدا إرسال المزيد من البعثات حتى يقتنع بعدم وجود اختراق سوفيتى . وأصر بالقول أنهم يرسلون ديك رومى بارد بدلاً من حقائق راسخة . وطلبت واشنطن الدليل على أن روسيا تحشد قواتها ، وطلب البنجاجون أماكن توزيع الفرق العسكرية وتحركات عربات السكك الحديدية ومخرجات الانتاج الصناعى والنشاط الجوى .

وانتهى فيافدا إلى القول .. إن المخابرات السوفيتية فقط هى التى ترسل لنا هذا اللغو الفارغ عن الوطنية ومشكلات حرب الأنصار .

وقال فيافدا إلى روستزك : « دعنا نأمل في الرب .. وهما يقتربان من برودوى .. وسيكون مفيداً أن نتعلم من البريطانيين شيئاً » .

وعندما بدأ الاجتماع .. وتبادل الطرفان التحيات الخاصة والحديثة عن العلاقات الودية بين البلدين والجهازين .  
وقال كار : إلى العمل ..

وبدأ روستزك الحديث بالقول .. هارى ، ومؤكداً على خطورة هدفهم « إننا نبحث عن تبادل صريح وواضح للرأى ، ودعنا نقارن الملاحظات والمذكرات ونرى إذا كانت هناك مشكلات بوجه عام .

وعرض كار لعمليات المخابرات البريطانية ولم يذكر شيئاً لم يكن معروفاً ، بإستثناء واحد أن هناك مزيداً من العملاء على وشك الأنزال .. وهذا الشئ الوحيد الذى كشف عنه . وتوضيحا للحذر والسرية فأننا لن نعرض رجالنا بالكشف عن منطقة الإنزال المحددة ولاتوقيت الوصول ، ونحن مهتمون مثلكم تماماً في أن نكون حذرين .. ولم يكن كار محددأ في حديثه .. وأدرك الأمريكيون أنه يعطيهم مسكنات بدلاً من إشراكهم في الأسرار ، وبنهاية الصباح وافق كار على أن يكون لدى فيافدا موجز كامل من ماكين عن النشاطات في ليتوانيا .

وأوقف الاجتماع للغداء ، وانتهى بعد الظهر متأخراً ولم يكن هناك مزيد من العمل

في ذلك اليوم .

وفي صباح اليوم التالي ، التقى فيافدا مع ماكين وانجذب إلى الرجل الذي كان مواطننا بلطيقياً أكثر من كونه انجليزى ، وقال فيافدا لزميله .. « لقد كنت على نفس الموجة » وبعد جلسة عمل والاطلاع على ملفات ماكين .

دُهِش فيافدا لجدية ماكين وإحساسه بالمسئولية وقد وعد ماكين بتقديم تقييم وتقدير موقف حركة الأنصار في لاتفيا في موعد لاحق إلى الـ « سى - أى - إيه » . وتوقفوا للغداء ووافقا على اللقاء على العشاء في تلك الليلة .

ولم يكن روسترك وكار راضيان عن الاجتماع في ذلك اليوم وقد اقتنع « ضابط الخدمات الاستراتيجية » في ميونيخ وواشنطن بأن المخابرات البريطانية لها علاقة وثيقة مع ستيفان بنديرا القومي الأوكرانى والذي كان يخرب جهودهم في تجنيد وإرسال العملاء لمساندة حرب الأنصار في جبال .. الكاريبي .. وأماكن أخرى .

وادعى الأمريكان أنهم يخطرون استخدام النازيين ومجرمى الحرب ضد الشيوعيين فإن سجلات بانديرا المروعة عن تعاونه مع النازى أثناء الحرب ، إنما كانت عملاً مضاداً على نحو إيجابى ولا يوجد برهان كاف أنه قاد أى دعم للنازى في أوكرانيا . وقد تدعمت حجة الأمريكين بتحذير رئيس المخابرات الألمانية السابق رينهارد جيهلين والذي أصبح مستشاراً دائماً للأمريكان ..

والذى حذرهم من بانديرا ومنظمتها داخل روسيا مخترقة بكل الاحتمالات وقال أحد الضباط الأمريكين « إننا نصطدم بعقبات في علاقتنا مع الأوكرانيين ، وبسبب دعمكم لبونديرا » وكانت ثقة كار في بونديرا الذى يعرفه منذ خمسة عشر عاما تقريبا وإزدراثة للأخبار الجديدة من واشنطن حملته إلى رفض أية محاولة من قبل الأمريكين ولذلك المؤتمر لتحطيم العلاقة .

ومن بين الذين صعدوا إلى الطائرة في ميونيخ « دافيد ميرفى » ضابط المخابرات العسكرية في زمن الحرب في الشرق الأقصى ، ثم في برلين ، وميرفى وصف ذاته مرة أنه شخص وسيم دائماً ومتردد دائماً ومخطيء دائماً ، كان عليه أن يدير مركز التدريب الروسى للأوكرانيين ويحل بيلك رئيساً للعمليات السوفيتية .

وكان الطموح في التوسع في العمليات من قبل المدير المعين حديثاً للعمليات الأمريكية في واشنطن الآن دالاس . والذى كان مولعا وعلى ثقة كبيرة في العمليات المغطاة

والطعن من الخلف ، وقد بث دلاس في مساعديه مفهومه عن تلك العمليات وأنها الضمان الحقيقي لنجاح الجاسوسية .

وكان يشارك المخابرات البريطانية في الاعتقاد بأن هزيمة الهيمنة الشيوعية تتم عن طريق إثارة ومساندة التمرد القومي داخل الاتحاد السوفيتي .

وكان انجيل هذا المبدأ .. لتوجيه مجلس الأمن القومي الأمريكي رقم ٦٨ والتي كانت مواده والتي تنتمي الآن إلى الذكريات هي التي زودت المؤمنين بترانيم شن الحرب الباردة ، وقال التوجيه : إن الاتحاد السوفيتي لا يماثل أى من الطامحين إلى الهيمنة في السابق وإنما مسلح بمبدأ متعصب ، وعلى النقيض تماما من مبادئنا ، ويسعى الاتحاد السوفيتي إلى فرض سلطته المطلقة على بقية العالم .

ويدعو المخطط السوفيتي إلى الهيمنة الكاملة ، وتدمير آلة الحكومة وبنية المجتمع بالقوة في بلدان العالم الأخرى غير السوفيتية وإقامة أجهزة وبنى خاضعة ويسيطر عليها الكرملين .

وإلى ذلك الهدف .. تتجه جهود الاتحاد السوفيتي الآن نحو الهيمنة على الأرض الأوروبية والولايات المتحدة باعتبارها مراكز القوة الرئيسية في العالم غير السوفيتي ، والاتحاد السوفيتي هو العدو الرئيسي الذي يجب تحطيم تكامله وحيويته وإخضاعه بوسيلة أو بأخرى إذا أن الكرملين على وشك إنجاز مخططة الأساسى .

وللتصدى وهزيمة الحركة الثورية على نطاق العالم كله ..

زاد مكتب الخدمات الاستراتيجية ومكتب تنسيق السياسات عدد العاملين به إلى ١٤٠٠ ضابط . وفى ظل عاصفة النشاط المحموم . كان من الصعب على العاملين في ميونيخ الحكم أيهما ميرفى أم روستزك .. واسم الجديد .. « هارى الوردى » الأكثر فاعلية والأكثر عملاً بجدية والأكثر تعصباً ولكن كان الميزان يميل عادة لصالح ميرفى .

وكان ميرفى قد وضع نفسه في منافسة مع ميشيل بارك . رئيس وحدة تنسيق السياسات المحبوب والخطير أيضا في ألمانيا والذي وقع في شرك عملية البانيا ..

وقد خدم بارك في المخابرات الأمريكية خلف الخطوط أثناء الحرب العالمية الثانية ، ولم يكن ميرفى كذلك له تلك الحنكة التي لدى بارك .

ولكن سعى إلى التنافس مع تلك الأسطورة .

وكان ميرفي يرى أنه لافرق بين الألمان والروس ، فهما أعداء يجب هزيمتهما .  
وفكر ميرفي في أن تياراً من الهواء الساخن يمكن أن يطيح بالروس ..  
وفي أبريل سنة ١٩٥١ .. عندما طرد الجنرال ماك آرثر من الخدمة كقائد للقوات  
المتحالفة في كوريا والمقاتلة في آسيا التي وصلت إلى وضع حرج وقاسى .  
فان أحدا لن يسأل ميرفي عن تقديراته بإرسال مزيد من العملاء وأرسل فريق الـ «  
سى - آى - إيه » الثانى علي وجه السرعة إلى ليتوانيا .

وأنشئ القسم اللاتفى على يد بيلك تحت مسئولية أمريكى من أصل لاتفى وهو  
بول هارتمان وكان مسئولاً عن المجيء بفريق الجندين المدربين من السويد بقيادة  
فريد لانجس ويجعلهم في حالة « استعداد للمهمة » ، وكانت هناك عمليات إضافية في  
كل منطقة من الاتحاد السوفيتى وكان ميرفي مستعداً لاستخدام العملاء الروس البيض  
دون اعتبار لعلاقتهم بالنازية .

وكان يرى أن تلك بداية مواجهة عالمية جديدة .. وكسب الحرب يتطلب المخاطرة .  
وبعد خمس سنوات فقط من الحرب العالمية الأخيرة ( الثانية ) لم يكن من العادى  
أن تتوقع رجالاً يموتون لأجل أى قضية ، وتتطلب التربية الجديدة لضباط المخابرات  
أن ينافسوا ويتفوقوا على شجاعة وبسالة مكتب الخدمات الاستراتيجية .

وعمل الضباط السباق بالمخابرات ليل نهار وخططوا ووضعوا البرنامج وأصدروا  
الأوامر حتى يقيموا شبكة عملاء داخل إمبراطورية ستالين .

عملوا أربعة وعشرين ساعة في كل أيام الأسبوع .. وضحوا بالأجازات والنوم ..  
ويقود هذا الفريق ميرفي ويشجعه روستزك وبحثت مجموعة العمليات الروسية عن  
الوسائل للحصول على المعلومات .. وكانت مشاعرهم بدائية وكثيفة .. مما سيجعل  
الكثير منهم يعانى بعد ذلك من مشكلات ذهنية .

وكان الموضوع الوحيد الذى يشغلهم هو التأكيد للبنتاجون أن لهم عيوناً خلف  
الستار الحديدى .

ولم يشك أحد في أنه من الممكن إنجاز المطلوب .. ولقد كانت المعادلة بسيطة ..

أموال + جهد = النجاح ..

وقال ميرفى ساخراً .. إلى روستزك : « إنه مجتمع فلاحى .. إنهم مجرد فلاحين ونساء فى عربات تجرها الخيول » ولامشكلة لدينا .. ولم يوقف أحد ليسال إذن ماالذى نخشاه ؟

وكان ميرفى يتفوق فى دور « الموجه » والناصح .

وكان فرانك ليندس نائب رئيس مكتب تنسيق السياسات . والذى انشغل فيما بعد فى عدد لا يحصى من العمليات فى أوروبا الشرقية ، بما فى ذلك البانيا .. ولأسباب مهنية وطموحات شخصية يريان أن النجاح يعتمد على إرسال العملاء عبر روسيا ، وكانت بواعثهما وطنية وكان محركهما « المهارة فى اللعب » .

ولايمكن لآى شخص أن يتخيل أن جهاز أمن مجتمع سيكون أكثر فعالية من جهاز المخابرات الألمانية والذى كان يقدم المعونة والمساعدة فى شخص رينهارد جهلين والتي قبلها الأمريكان شاكرين ..

وكان الإنزال فى ليتوانيا .. أعد ليكون فى ١٩ أبريل وفى وسط الفترة الانتقالية ، واختفت السرية فى غمار الاحتفال مع تمنيات الحظ الطيب للفريق الثانى .

ورغم أن قائد هذا الفريق .. جولى نوس بيوتانس خشى من العاقبة ، وانفجر فى الدموع فى مرات عديدة قبل الرحيل .. وأسقط ومعه جوناس كوكاسكاس .. مشغلاً اللاسلكى .ونزل الرجلان فى منطقة محدودة فى الغابات ودفنا المعدات واتصلا بمجموعة من الأنصار .. واجتهد بيوتانس للعثور على لوكاشا بينما صحب واحد من الأنصار كوكاسكاس إلى سيرفاس ، حيث خبأه فى مخبأ بالغابة .. وعندما انتهت التحيات العاطفية ، فصل سيرفاس الظروف القاسية التى عاشها فى السنوات الأخيرة . وكل شخص هنا يرتعد من الروس . ولهم عيون فى كل مكان والحياة فى توتر دائم .

وكان لوكاشا الذى لم يقابلوه منذ وصولهم ، كان فى مأمن ويعمل فى منطقة أخرى .

ونقل كوكاسكاس ومرشده إلى مستودع للفحم داخل سفينة بينما ظل سيرفاس وثلاثة أصدقاء ينتظرون انتهاء القادم الجديد من دفن معداته .

وفى أثناء عودتهم فى اليوم التالى ، حذرهم فلاح بأن هناك إطلاق كثيف للرصاص وانفجارات فى الغابة .. وهرب الأربعة وعادوا بعد أسبوعين ليكتشفوا أن مستودع الفحم

قد دمر وأن المرشد مات وكوكاسكاس القى القبض عليه ، وكان سيرفاس على يقين أنهم وقعوا ضحية خيانة زوجة الفلاح ..

وتدفقت سلسلة النتائج بسرعة ، وفور اغتيال كوكاسكاس .. خضع للتهديد بالتعذيب ووافق على التعاون .

وفي الغابة .. لم يكن بيانتس يدري عن اعتقال زميله وحاول الاتصال مع لوكاشا وكان يعتمد في ذلك على الأنصار الذين خانوه وغدروا به أيضاً .

وبعد أسبوعين أجاب رجال الـ « كى - جى - بى » بمخبا بيانتس في الغابة .  
ولكى يهرب من الأسر ابتلع بيانتس قرص سيانيد .

وبينما يستخدم رجال الـ « كى - جى - بى » كوكاسكاس صنيعة لهم .. رتب لقاءً مع لوكاشا .. وشك القائد « الأنصارى » ولكنه يجهل مصير بيانتس وزميلة ، وجاء في الموعد المحدد وبعد أن أمر حراسه بإطلاق الرصاص إذا كان الاجتماع شركاً ومصيدة .

ولم يكتشف قبره المجهول .. ولم يعلم أحد بتضحياته على نحو واضح ..

وفي نهاية إبريل .. كان سيرفاس وحيداً وجهاز اللاسلكى الذى بحوزته مخبأ في غرفة الفحم داخل « السفينة » المحطمة ، بفعل تفجيرات الـ « كى - جى - بى » ، ولكنه استطاع الوصول إلى جهاز بيانتس بعد اكتشافه في منطقة الإنزال . وفي أول محاولة لبث الرسائل إلى ميونيخ أدرك أن الجهاز تالف ولايقبل الإصلاح .

وقال لجماعة الأنصار : « لقد انقطعنا عن الاتصال » وسأكتب رسالة شفرية على عنوان سرى ، وأحيطهم علماً وأحذرهم من مشاكلنا .

وفي ميونيخ وفي الأول من مايو .. عرف ميرفى وفيافدا أن المهمة قد فشلت . ووصلت المزيد من الرسائل الشفرية من ليتوانيا ولكن محتواها كان لغواً وطنياً فارغاً ، كما نعتها بذلك فيافدا وثبت أن المرسل تحت السيطرة .. ولم يكن معروفاً إلى سيرفاس أن الـ « كى - جى - بى » قد استخرجت جهاز اللاسلكى من المخبأ .. في غرفة الفحم ، وقامت بالانفجارات في الغابة لتغطى على فعلتها . واستخدمت كوكاسكاس لبث الرسائل الشفرية إلى ميونيخ ، وكان قصدهم .. تشجيع الأمريكان على إرسال مزيد من العملاء وانفجرت شكوك فيافدا على شكل وابل من الشتائم موجه إلى ميرفى شخصياً وقال : « إنه خطير جداً .. لابد من إعادة التفكير في كل العملية » ورد ميرفى : « إنك عاطفى جداً .. وعليك العودة إلى الولايات المتحدة » .

وفي ذلك الأسبوع .. ترنح فرع البلطيق وسط الاتهامات والشعور بالذنب ،  
ووصلت الأنباء من لندن بأن اثنين من كبار موظفي الخارجية البريطانية وهما دونالد  
ماكين ، جى بيرجس قد اختفيا وبعد سنوات من التحقيق الدعوب برهنت المباحث  
الفيدرالية لوزارة الخارجية أن ماكين كان جاسوساً سوفيتياً .

وفي نهاية الشهر طلبت المخابرات المركزية استدعاء فيلبى ضابط الاتصال  
بالمخابرات البريطانية في واشنطن إلى بلاده .

وكان فيلبى هو المخول سراً بتقديم البرهان ضد ماكين وقد شك في أنه سيفرر  
بزميله وقرر الهرب ، ووضع ليرنى وروسترك أن سبب الكوارث السوفيتية واضحة  
وبينة من تلقاء نفسها . وأضاف فيافدا « أن هناك مثلاً ليتوانيا ينطبق على هذا الموقف  
يقول : أشعر أننى ضربت مثل ذبابة » لقد غدر بنا البريطانيون .

وشارك القليل في برودوى الأمريكانى في شكوكهم في فيلبى .. ورفض مينزيس  
ورجاله الادعاءات بأن زميلهم المحترم « خائن » ومن بين الأقلية التى قبلت سنة ١٩٥١  
الدليل الأمريكى .. نائب مينزيس وهو قائد الجو جيمس ايستون والذى أرسل إلى  
فيلبى خطاباً .. تسلمه باليد .. يحذره فيه من الاستدعاء الوشيك له إلى لندن . وأصبح  
ايستون مطروداً لأنه تجراً واعتقد بسوء أحد عناصر المؤسسة الموثوق بهم .. وعاملوه  
على أنه من الخارجين على المؤسسة .. وأخرجوا ايستون من المناقشات المطولة حول  
معالجة أمر فيلبى .

وانتمى كار وماكين إلى الأغلبية الساحقة التى اعتقدت في البدء ببراءة فيلبى ،  
وعرف فيلبى من موقعه كضابط اتصال المخابرات البريطانية في واشنطن تفاصيل عن  
عمليات الإنزال في أوكرانيا والتى ظلت المخابرات الأمريكية عن عمد لاتعلم عن عمليات  
المخابرات البريطانية في البلطيق . ولذا تسرب القليل بشأن تلك العمليات من مكتب  
فيلبى .

وشعر كار وماكين بالامتنان إزاء الأمن المحكم الذى أحاط بمجموعة العملاء الذين  
هبطوا إلى لاتفيا .. ولم يتمكن ذلك الجاسوس المرعب من تعريض العملية للخطر .

ووصل الرجال الأربعة بدون إعلان .. مع تحذير باتباع أقصى درجات اليقظة  
والحذر قبل وبعد الاتصال بمجموعة « ماكسس » .

\*\*\*